الباب الثانى

صيام الأنبياء

صيام آدم - عليه السلام-

قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة:٣٥].

آدم – عليه السلام– هو أول إنسان خلق على ظهر الأرض، وهو أب الخلق أجمعين.

وكان تكريم الله لآدم، أن أمر الملائكة أن يسجدوا له، وليس سجودهم عبادة لآدم، وإنما هو اعتراف منهم بأن الله شمله برعايته وتكريمه.

وتولى الله برحمته آدم، فعلمه كل أسماء الموجودات، والمخلوقات فى الدنيا. وكرمه أيضا بأن أسكنه هو وزوجته الجنة وجعلهما يأكلان منها رغدا حيث يشاءان.

والله المنعم، يجب أن يشكر على نعمته، وأسمى مظاهر شكره، طاعته فإن لم تكن طاعة، فلا شكر، ومن لم يشكر الله على نعمته، سلبه هذه النعمة.

وقد أمرهما الله بالكف الدائم عن أكل نتاج أحد أنواع الشجر ونهاهما عنه فى قول الله تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة:٣٥].

ولكنهما عصيا أمر ربهما وأكلا منها، وكان هذا سببا لهبوطهما للأرض وتركهما الجنة بأمر ربهما.

وبما أننا فى صدد الحديث عن صيام أبينا آدم - عليه السلام- سيدخل أمر هذه الشجرة المحرمة فى سياق حديثنا.. حيث تناوله البعض على أنه نوع من الصيام فرض على آدم - عليه السلام- استناداً لقول الله تعالى فى الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:١٨٣].

إذا تأملنا تفسير هذه الآية سنجد أننا أمام أمرين - كما قال المفسرون- **الأمر الأول**: وهو ينطلق من مصدر لغوى بحت فيعتبر الصيام فريضة مشروعة على كل من كان قبلنا من عهد آدم - عليه السلام- إلى عهد محمد - صلوات الله عليه وسلامه- مهما زادت الأيام أو نقصت.

والأمر الثانى: يفسر الآية منطقيا على أنها لا تشمل "العموم" ولكن المقصود منها أن الصيام فرض على الذين من قبلنا مباشرة، أى كان فرضا فى الدين المسيحى.. وهكذا تحتمل الآية التفسيرين، وبالتالى ليس فيها دليل صريح على صيام آدم.

وإذا تأملنا أيضا حياة آدم وحواء سنجد أنهما عاشاها ما بين الجنة والأرض، وقد جاء فى القرآن الكريم عن حياتهما فى الجنة وتكريمهما: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ**

﴿وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٣٤-٣٥].

وجاء أيضا عن حياتهما فى الأرض قول الله تعالى:﴿ قَالَ اهْبَطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ [طه:١٢٣].

وعرفنا من قبل أن السبب فى هبوطهما للأرض هو ذلك التحريم الربانى لنوع معين من الطعام - وليكن التفاح- كما ورد فى بعض التفسيرات- فى قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥].

وقول الله تعالى:﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاتَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأعراف:١٩].

وهذا كان تحريما أبدياً، ولذا لا يعتبر نوعاً من الصيام الذى يكف فيه الإنسان كفاً مؤقتاً من ناحية الشرع.. وقد نزلت هذه الآية وهما فى الجنة وكما نعلم فالجنة دار "تكريم" وليست دار "تكليف"، ويتضح هذا التكريم جليا فى قول الله تعالى:﴿إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا ولا تَضْحَى﴾ [طه:١١٨-١١٩].

وإذا كان بعض المفسرين قد استندوا فى أن الصيام فرض على سيدنا آدم من هذه الآية واستندوا للتفسير اللغوى الذى يعتبر الأمر

بالكف عن شيء ما يطلق عليه صيام.. ولكن هذا ليس بمدلوله الشرعي.. لأن الصيام في الشرع هو كف مؤقت وغير دائم.

وعموما أخبار صيام سيدنا آدم - عليه السلام- لم تقم عليها حجة ولا أسانيد، ولذا من الصعب الجزم بالنفي أو الإيجاب لأن كلتا الحالتين تحتاج لإثبات.

وقد وردت قصص كثيرة نسجها القصاصون عن سيدنا آدم -عليه السلام- هو وزوجته حواء حول صيامهما، فقالوا فيما نقله الثعلبي النيسابوري:"بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة، ولم يقرب آدم حواء مائة سنة".

ومن الأحاديث الموضوعة والملفقة ما قاله موسى بن نصر البغدادي الذي أجرى على ألسنة كبار التابعين أحاديث منكرة منها:

"افترض الله تعالى على أمتي الصوم ثلاثين يوما، وافترض على سائر الأمم أقل وأكثر، وذلك لأن آدم لما أكل من الشجرة بقي في جوفه ثلاثين يوما، فلما تاب الله عليه أمره بصيام ثلاثين يوما بلياليها".

وقد وضع الوضاعون الكثير من الأحاديث الكاذبة على لسان محمد ﷺ في شأن آدم - عليه السلام- والتي لا داعي لذكرها لكثرتها ونكتفي بما أوضحناه عن صيام آدم - عليه السلام-.. **ولننتقل لإدريس - عليه السلام- لنرى هل فرض عليه صيام أم لا!**

* * *

صيام إدريس - عليه السلام-

قال الله تعالى:﴿وَإِسْمَاعِيلَ وإِدْرِيسَ وذَاالكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء:٨٥-٨٦].

إدريس - عليه السلام- هو جد نوح - عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- وقد رجح المفسرون أنه من ذرية إسرائيل ونبى من أنبيائهم.. ومن هؤلاء المرجحين العلامة ابن كثير فى "تفسير القرآن الكريم". لما جاء فى قول الله تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨].

وقال الزبير بن بكار – رضى الله عنه:-

"كل نبى ذكر فى القرآن فهو من ولد إبراهيم غير إدريس ونوح وهود ولوط وصالح".

وعموما إدريس حيكت حوله أقاصيص كثيرة، حيث اعتبره البعض عين "أخنوخ" – كما جاء فى العهد القديم-.

وقيل عنه إنه بانى الأهرامات - وفيات الأعيان-.

وقد زادت القصص فى أمره، فجعلته إحداها صديقا لملك من الملائكة ليكون الأخير وسيطا له عند ملك الموت فيؤخر أجله، ثم

مازال يحاور ملكا حتى ولج الجنة وأبى أن يخرج منها - العرائس الثعلبى النيسابورى-.

وبالطبع كلها أساطير يبرأ منها العلم الصحيح.. وإدريس - عليه السلام- نبى صريح فى القرآن الكريم.. وقد جاء فى قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقا نَّبِيًّا * وَ رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٦-٥٧].

وما يهمنا فى هذا الأمر موضوعنا الأساسى وهو: هل كان هناك صيام مفروض على إدريس، وخاصة أنه - عليه السلام- لقب "بصائم الدهر" ؟!

لقد لقب نبى الله إدريس - عليه السلام- بصائم الدهر، لكثرة صيامه لله حيث يقال إنه كان يصوم أربعة أيام من كل أسبوع طوال حياته.

وإذا كان ترامى إلى أسماعنا هذا ورددناه فى بعض الأحيان، فذلك لأن الألسنة تناقلته عبر الأزمان، ولكننا لا نستطيع أن نتيقن من ذلك لأنه فى الحقيقة لا يوجد لدينا سند أو دليل يثبت هذه الأقاويل لنتحقق من صيامه وكل ما نستطيع قوله إنه كان نبيا قبل نوح وبعد آدم فأمره أمر آدم - عليهم السلام-.. وما ورد من أنه "كان يصوم الدهر" قبل نوح، فإنما ورد فى الأقاصيص فقط وليس عليه حجة ولا دليل.

ولننتقل لصيام نوح علنا نجد سنداً أو دليلا على صيامه.

صيام نوح - عليه السلام-

قال الله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأنبياء:٧٦-٧٧].

نوح - عليه أفضل السلام- كان من أولى العزم من الرسل ورسالته فى أصول عقيدتها وفى شىء من تشريعها، كانت وحيا عاما لكل ما تلاها من رسالات وقد لقب بصائم الدهر.. **فماذا عنه وعن صيامه؟!**.

فقد كانت الفترة بين آدم ونوح، - عليهما السلام- قد عمر فيها الكون ونضج وعى الناس فظلوا يعبدون الله، متدينين بالدين الذى علمهم أبوهم آدم - عليه السلام-.

ولما طال بهم العهد، شغلتهم الحياة عن دينهم، فبعدوا عن ربهم وانطمست صورة التوحيد فى قلوبهم فاتخذوا تماثيل وأصناما يرمزون بها إلى الله أو لتقربهم لله ، وبالغوا فى ذلك ثم مع الوقت عبدوها من دون الله.

وتجلت قدرة الله وحكمته فى أن أوحى إلى نوح، أن إهد قومك ورغبهم فى عبادة الله وقل لهم:﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

فأخذ نوح يدعو قومه لعبادة الله الحق تسعمائة سنة ليلا ونهارا

وسرا وجهارا، فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا واستكبارا قال الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[الأعراف: ٦٠] وحين رد عليهم نوح بأدب الأنبياء العظيم- كما جاء فى القرآن الكريم قال الله تعالى:﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٦١-٦٢] حتى نفد صبره وكاد ييأس، وظن أن الله قد تخلى عنه وأنه مكذوب فى رسالته. قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

فرفع نوح وجهه، وبسط كفه ودعا ربه قائلا:

﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِن الكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلايَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[نوح: ٢٦-٢٧].

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

وتابعه الوحى وأوحى له ببناء سفينة حتى انتهى منها، قال الله تعالى:﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود:٣٨].

وحان الميعاد، المقدور فى أقدار الله وطالبهم نوح أن يركبوا معه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[هود:٤١].

ولكنهم لم يعبأوا بقوله حتى جاء أمر ربه:﴿الر .. كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]. وكان لهم العقاب المحتوم حيث قال الله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:٤٤].

ونجا نوح ومن معه وجاء فى ذلك قول الله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود:٤٨].

وكانت هذه نبذة بسيطة عن نوح - عليه السلام-.. ونحن فى هذا الصدد نتناول الصيام فى شريعته، فماذا عنه؟

ما ورد عن صيام نوح يمكن أن نستنتج منه أن الصيام كان بشريعته فرضا ونفلا.

فمثلا جاء فيما رواه الإمام محمد بن جرير الطبرى، قال:

"حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنى حجاج، عن أبى جعفر الرازى، عن قتادة قال:

"هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم واستوت السفينة على الجودى - أى رست عليه- وقيل أن نوحا، قال لمن معه: من كان منكم اليوم صائما فليتم صومه، ومن كان مفطرا فليصم"

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:٤٤].

وهذا يعنى أن الأمر بالصيام هنا ليس فرضا وإنما نفلا.. ولو كان فرضا ما كان بحاجة لتنبيه المفطر أن يصوم.

وقد جاء حديث آخر فى مسند الإمام أحمد بن حنبل – رضى الله عنه:- "حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، ثنا أبو جعفر. ثنا عبد الصمد، عن أبيه عن شبيل، عن أبى هريرة قال:

مر النبى ﷺ بأناس من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء، فقال: ما هذا من الصوم؟

قالوا: هذا اليوم الذى نجى الله موسى وبنى إسرائيل من الغرق، وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى، فصامه نوح وموسى شكراً لله تعالى.

فقال النبى ﷺ:

"أنا أحق بموسى وأنا أحق بصوم هذا اليوم. فأمر أصحابه بالصوم".

وعموما ما نستنتجه أن الصيام كان بشريعة نوح فرضا ونفلا - كما سبق وقلنا- **ولكن هل كان هناك صيام أبديا عن أى نوع من الطعام؟!**

لا لم يحرم على نوح أى نوع من الطعام، وقد جاء فى العهد القديم:

"كل دابة حية تكون لكم طعاما، كالعشب الأخضر، دفعت إليكم الجميع".[العهد القديم – التكوين- الإصحاح التاسع ٤، ٥].

وأشار القرآن الكريم لصدق ذلك فى قول الله تعالى: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ**

﴿التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:٩٣].

وهذا ما ورد لنا عن صيام نوح بأنه فرض فى شريعته، وكان لونا من عباداتها حيث نقل هذا أئمة ثلاثة من أصحاب الرسول، حيث أورد ابن كثير فى تفسيره "القرآن العظيم" تفسيراً لقول الله تعالى: ﴿والَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فى آية الصيام – هم قوم نوح ومن بعدهم.

فقد روى: "إن الصيام كان أولاً – أى فى الإسلام- كما كانت عليه الأمم قبلنا من كل شهر ثلاثة أيام – عن معاذ- وابن مسعود، وابن عباس، وعطاء، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، زاد: "لم يزل ذلك مشروعا من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان".

وقد وردت مقولة تقول إن نوح صام الدهر ولكن لا توجد أية أسانيد تثبت ذلك!

* * *

ولننتقل لصيام إبراهيم خليل الله – عليه السلام- والذى لقب بصائم الدهر.

صيام إبراهيم الخليل - عليه السلام-

قال الله تعالى:﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل:١٢٠-١٢٢].

هو النبى الذى ابتلاه الله ببلاء مبين.. بلاء فوق قدرة البشر وكان إبراهيم هو العبد الذى وفَّى. قال الله تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم:٣٧]

وقد كرمه الله تبارك وتعالى تكريما خاصا.. فجعل ملته هى التوحيد الخالص النقى من الشوائب وأثنى عليه قائلا:﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[النحل:١٢٠] .

وحين دعا إبراهيم الناس للحق هاجموه وكان أبوه أول الكافرين بدعوته.. ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ *وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[الأنعام: ٧٤-٧٦] ولم ييأس إبراهيم - عليه السلام- وجاهر يدعو لعبادة الله تعالى وما كان من القوم إلا ثاروا ثورة شديدة عليه وحنقوا وتملكهم الغضب وتجمعوا عليه ليفتكوا به وأخذوا يفكرون فى طريقة للتخلص منه حتى فكروا فى حرقه الذى سوف يشفى غليلهم.

وحين أشعلوا النار وقذفوا به فيها لم تكن إلا بردا وسلاما فهدأت النار وخمدت وتحصن إبراهيم - عليه السلام- برعاية الله جل جلاله، وقد جاء هذا فى قول الله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾[الأنبياء:٦٨-٧٠]. وحينئذ تصاعدت صيحات الدهشة الكافرة حينما خرج إبراهيم من النار سليما وجهه يتلألأ بالنور والجلال.

وظهر الخليل - عليه السلام- قبل الميلاد بنحو ألفى سنة، وكان ذلك فى بلدة تدعى "أور" جنوب "بابل" - وحينما خرج من بلدته وبدأ هجرته ونحن تناولنا فى الباب الأول نبذة عن الديانات والعقائد التى انتشرت فى تلك المنطقة حينئذ وكان من بينها الوثنية التى استشرى أمرها فى تلك المناطق.

وانتقل بعد ذلك إبراهيم - عليه السلام- بدعوته غربا بفلسطين ثم جنوبا بمصر ونادى بها فى مكة حيث ترك ولده "البكر" إسماعيل - عليه أفضل السلام- ووالدته هاجر صلوات الله عليهما.

وقد اختلف القوم بعد مئات السنين فى ديانة إبراهيم أبو الأنبياء، هل كان يهوديا أم مسيحيا ورد عليهم القرآن فى آياته بقول الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ *

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٥-٦٧].

وعموما فقصة إبراهيم – عليه السلام- شيقة ورائعة ومن أروع ما أتى به القصص القرآنى وكنا نتمنى أن نسردها بالتفصيل ولكن ليس مجالها هنا.

وبالنسبة للصيام فى شريعته وهو ما يهمنا هنا فيرى بعض الباحثين أنه لا غرو من أن هناك صيام فى شريعته لأنه كان هناك صيام فى رسالة نوح ورسالة الخليل تالية لها.

كما أن رسالة الخليل جاءت وكان الصيام مقررا كشعيرة فى مختلف الوثنيات حوله فى محاولة للسمو بالإنسان،فكيف تحاول تلك الوثنيات أن تمارس الصيام للسمو والتطهر وتخلو شريعة سماوية منه.. بالطبع لابد أن يكون هناك صيام.

وقد جاء فى نص للسيوطى فى كتابه " الجامع الصغير":

صام نوح الدهر إلا يوم الفطر ويوم الأضحى، وصام داود نصف الدهر، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر، صام الدهر وأفطر الدهر.

وإذا قيل "صام الدهر وأفطر الدهر" فلعل المقصود صيامه ثلاثة أيام من كل شهر له أجر شهر، فإن الحسنة – فى أبسط جزائها- بعشرة أمثالها، فكأنه صام حياته كلها.

وعموما إذا كان الخليل - عليه السلام- قد صام هذه الأيام فلم يثبت بالدليل هل هى كانت نفلا أم فرضا.

وقد فسر الإمام الجليل الطبرى قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بأن المقصود بمن قبلكم من أهل الكتاب سيدنا إبراهيم حيث جعله للناس إماما.

وأخيراً.. رسالة إبراهيم رسالة توحيد بنيت على التفكر والتعقل والإيمان بالله عز وجل، ولابد أن يكون بها صيام يطهر القلوب ويسمو بالنفوس.

* * *

وإلى صيام الفارس المغوار داود - عليه السلام-.

صيام داود - عليه السلام-

قال الله تعالى:﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوِدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾ [ص:١٧-٢٠].

مرت سنوات عديدة على وفاة موسى - عليه السلام- وجاء بعده أنبياء وماتوا.. وانهزم أبناء إسرائيل بعد موسى وضاع منهم كتابهم المقدس "التوراة".. حين غربت التوراة من الصدور، نزعت من الأيدى. واستولى أعداؤهم على تابوت العهد وفيه بقية مما ترك آل موسى وهارون.

إلى أن ظهر ذلك الفارس المغوار داود - عليه السلام- الذى كانت لديه العزيمة والهمة والإقدام والجرأة على العدو، حين بزغ نجمه لأول مرة فى عصر الملك "طالوت"- واستطاع أن يقتل عدوه وعدو بنى إسرائيل "جالوت" وأزال الروع عن القوم، وأقبل طالوت عليه متوجا له بزواجه من ابنته وجعله خليفة له على الملك من بعده.

ولكن سرعان ما تبدل الحال بين طالوت وداود حيث خشى الأول أن يخلعه عن عرشه، وخاصة بعد أن لمع اسمه وتعلق به الشعب وتنادوا بزعامته فسولت نفس طالوت له أن يقذف بداود فى رحى الحرب لعل حظه يخونه ولا يعود ثانية، فبعثه لقبائل كنعان الغلاظ الشداد.

فما كان من داود الذى رعاه ربه أن عاد وأعاد المجد إليهم، فعظم ذلك فى أعين قومه وأسر قلوبهم ورشحوه للملك عليهم.

وبالطبع أوغلت الغيرة قلب طالوت.. فأتمر بداود وأرهف سيفه، وخرج فى جماعة من الحمقى حوله للخلاء يفكرون ويدبرون كيف يتخلصون منه.

ولكن عناية الله ورحمته أنقذت داود الذى اتجه لربه يستعينه، فألقى الله عليهم النوم فراحوا فى سُبات عميق وهم فى مجلسهم.. ومر بهم داود واستل منهم سيوفهم وحرابهم وتولى عنهم، ولكنه لم يقتل أحدا، ولم يمنعه سوى إيمانه وخوفه من الله سبحانه وتعالى..وما كان من القوم إلا أن اعترفوا بذنبهم واستغفروا ربهم وارتضوه ملكا عليهم.

وفى هذا قال الله تعالى: ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلاتَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ**﴾ [ص:٢٦]

واختار الله داود – عليه السلام- نبيا وأتاه الزبور ، قال الله تعالى : ﴿**وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ولَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وآتَيْنَا دَاودَ زَبُورًا**﴾ [الإسراء:٥٥]. والزبور هذا كتاب مقدس كالتوراة.

وأتاه الله الحكمة وعلمه مما يشاء، وأمده بنعم كثيرة فجعل الجبال أوّبى معه والطير كذلك، وألان له الحديد، وفى هذا قول الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ**﴾ [سبأ:١٠]

وقد وهبه الله أولاداً كثيرين وجمع كل ما يرجى منهم من خير فى ولده سليمان- عليهما السلام- فكان نبيا ورسولا وملكا كريما وقد قال الله تعالى:﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٣٠].

وقال الله تعالى:﴿وَدَاوُدَ وسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾

[الأنبياء:٧٨-٧٩].

عموما الحديث عن نبى الله داود شيق ومثير، فيكفى أن الجبال كانت تبوح له بأسرار كنوزها وتبذل له من معادنها، والطير تأتيه بأحطابها، ويلين له الحديد فيوقد النار ويصهر المعدن ويصنع الدروع وألبسة الحرب.. ويكفى ما أنزل عليه من ترانيم كان يلحنها بمزماره فتلين ما جمد من قلوبهم، فكانت مزاميره أقباسا من نور وأشعة من معرفة.

وتقول الروايات إنه حين مات - عليه السلام- شيع جنازته يومئذ أربعون ألف راهب فى أرديتهم التقليدية، مع آلاف غيرهم من الناس، ولم يمت فى بنى إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعا عليه.. منهم على داود.

ولكن للأسف حديثنا هنا عن صيام داود - عليه السلام- ولنتناول سيرته ونبوته - عليه السلام- فى مجال آخر، وربما أكون قد أسهبت بعض الشيء فى الحديث عن داود لأن نعم الله عليه كثيرة وعظيمة.. ولكن الآن ما يهمنا فى هذا الصدد كيف كان يصوم داود - عليه السلام-؟

يعتبر صيام داود - عليه السلام- ذروة فى صيام النفل كله، فقد كان يصوم يوما ويفطر يوما، وهذا النوع من النفل أقصى ما ارتضاه نبينا محمد ﷺ لأمته إذا تنفلت، ولم يقبل رسولنا الكريم أن يعكف المسلم أو المسلمة على صوم دائم، وكان يرى أن صيام إبراهيم الخليل ثلاثة أيام من كل شهر صياما مناسبا كنفل، وكان يرى أن أقصى صيام للنفل هو صيام داود - عليه السلام-.

وقد قال نبينا الكريم للصحابى الجليل عبد الله بن عمرو - رضى الله عنه- حينما انقطع للصيام وعلم الرسول ﷺ بذلك أن عليه الاكتفاء بثلاثة أيام من كل شهر، وحينما قال إنه يستطيع أكثر فقال له الرسول ﷺ: **"فصم صيام نبى الله داود ولا تزد عليه"** وحين سأله عبد الله عن كيفيته قال له ﷺ:**"كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو أفضل الصيام"**.

وقد جاء هذا فى حديث صحيح للبخارى "باب صوم الدهر".. وقد قال رسولنا ﷺ عن داود فى حديث له:

"أفضل الصيام صيام داود، كان يصوم يوما ويفطر يوما. وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا، وكانت له ركعة من الليل يبكى فيها نفسه ويبكى ببكائه كل شىء ويشفى بصوته المهموم والمحموم".

وهكذا كان يصوم داود - عليه السلام- وأعتقد أن ولده سليمان كان يسير على نفس دربه، ولكن ليس أمامنا من أسانيد نؤكد بها ذلك.. غير بعض من الأحاديث.

وإذا كان هذا هو صيام داود، فماذا عن صيام يونس عليه السلام؟!

***

صيام يونس - عليه السلام-

قال الله تعالى:﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ *فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ *لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ *وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[الصافات:١٣٩-١٤٨].

ولد سيدنا يونس – عليه السلام- ببلدة نينوى عاصمة آشور.

وكانوا يسمونه يونس.. وذا النون.. ويونان.

وكان يونس– عليه السلام- نبيا كريما أرسله الله إلى قومه ليرشدهم إلى الحق.

لقد دعا يونس قومه إلى عبادة الله والتخلى عن عبادة الأصنام وهددهم بالخراب والدمار وسوء العذاب، وشدَّ عليهم فى دعوته مبالغة منه فى الحرص على إيمانهم وطاعتهم وبادر بهجرهم، والمهاجرة من بينهم، من قبل أن يأذن له الله بالمهاجرة، وكان متعجلا فى أمره، ونسى أن الدعوة الراسخة تقوم على الإقناع وبسط جناح الرحمة.

ترك يونس قومه حيارى، وركب البحر ليذهب بعيداً غاضبا منهم، فهبت عليه الريح واشتدت العاصفة، ومالت السفينة وأوشكت على الغرق وتخفف أهلها فرموا متاعهم فى البحر، ثم ضربوا السهام واقترعوا، فمن أصابته القرعة رمى نفسه فى البحر ليخفف عن إخوانه،

وقد أصابته القرعة أكثر من مرة، وكان لابد أن يلقى بنفسه فى البحر الخضم الهائج المائج.

وكان على ميعاد مع الحوت الذى ابتلعه وقذفه فى جوفه.. فاجتمعت عليه الظلمات الثلاث، ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت.. فدعا ربه وجأر بالدعاء وتضرع إلى الله، وأدرك أنه استخف بأمر قومه فنادى فى الظلمات، أن لا إله إلا أنت سبحانك فى ملكوتك وجبروتك إنى كنت من الظالمين، ظلمت نفسى، وظلمت قومى، وظلمت رسالتى.. فمن ظلمى لثلاث أوقعنى ربى فى ظلمات ثلاث فيا رب أدركنى بثلاث: التوبة، المغفرة، النجاة، واستمر يونس فى تسبيحه لله.. لا يتوقف ولا يهدأ ولاينقطع بكاؤه.

لم يكن يأكل أو يشرب أو يتحرك..كان صائما طعامه هو التسبيح، ومكث يونس فى بطن الحوت زمنا لا نعرف مقداره ولكنه ظل طوال الوقت يسبح ويقول بقلبه ولسانه قال الله تعالى: ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء:٨٧].

وكانت رحمة الله واسعة فاستجاب دعاءه، ونجاه فقذفه الحوت بعيداً على الشاطئ فى العراء وهو سقيم وشملته الرعاية الربانية أكثر فأنبت إلى جواره شجرة من يقطين غطته بأوراقها وأظلته بأغصانها وغذته بثمارها.

وعاد إلى قومه الذين تابوا إلى الله بعد خروجه وتركه لهم وخرجوا للخلاء ينشدون التوبة فعفا عنهم ربهم وكشف عنهم الغمة كما كشف عنه الظلمات.. وقال الله تعالى: ﴿ **فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ** ﴾ [يونس:٩٨].

وهذه باختصار نبذة عن حياة يونس بين قومه وما تعرض له.. **فماذا عن صيامه؟**

يذكر سفر يونان "يونس" أن أهل نينوى آمنوا بالله **"ونادوا بصوم ٣-٥"** وشمل الصيام الصغير والكبير، وفرضه الناس على البهائم **"لا تذوق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئا ٣-٧"**.

وحين شرعت الكنائس أصواما قرر الأنبا أبرام البطريرك الثانى والستون للكنيسة السريانية "صيام نينوى" ثلاثة أيام تذكاراً ليونان – يونس- وعنه أخذته الكنيسة الأرثوذكسية المصرية وقررته على أتباعها صياما. كتاب القس شنودة حنا "الصوم فى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية".

* * *

بالطبع هناك من الأنبياء الكثيرين الذين لم يكن لدينا دليل ولاحجة على كيفية صيامهم، وبالتالى لم نتناولهم فى كتابنا هذا.

ولننتقل الآن إلى الرسالات السماوية للتعرف على كيفية الصيام بها.